العولمة ورهان المعرفة:
رؤى استشرافيّة غربيّة

Globalization and the knowledge Bet:
Western Foresight Visions

د. نجيب جراد

أستاذ وباحث بالعهد العالي للدّراسات
التّطبيقيّة في الإنسانيات
جامعة قفصة - تونس

najibjrad@yahoo.fr

العولمة ورهان المعرفة:
رؤى استشرافيّة غربيّة

د. نجيب جراد

الملخص:

"**العولمة ورهان المعرفة: "رؤى استشر افيّة غربيّة"** مداخلة تندرج ضمن المائدة المستديرة المنعقدة حول "**العولمة ورهانات المعرفة والتّثاقف**" الّتي نظمتها الهيئة العالمية الأمريكية للاختراع والتّنمية والاستثمار يوم 5 فيفري 2022 في إطار مؤتمرها الثّامن الموسوم بـ "**مستقبل العلوم في زمن العولمة وفق رؤى متخصّصين**". ونقدّم خلالها تشخيصا لعلاقة العولمة بالمعرفة وكيفيّة رسم المستقبل بناء على تحوّلات مجتمعيّة وتطوّرات علميّة دائمة التّجدّد. وفيها نقدّم جملة من الرّؤى حول العولمة وتحدّياتها وتداعياتها خصوصا في العالم العربي الإسلاميّ انطلاقا من شهادات كبار المتخصّصين في الاقتصاد والسّياسة والفكر والاجتماع في الغرب (جوزيف ستيغليتز، وروجي غارودي، ونعوم شومسكي، وجيرار ليكلرك).

الكلمات المفاتيح: عولمة – المستقبل – معرفة –رؤى – غرب.

Abstract

Globalization and the Knowledge Bet: “Western Foresight Visions” is an intervention that falls within the roundtable held on “Globalization and the challenges of knowledge and acculturation,” which was organized by the **American Global Universal Innovations INC, Development and Investment**“on 5 February, 2022 in the framework of its eighth conference entitled “**The future of sciences in the era of globalization according to specialist visions”.** During this conference, we presented a diagnosis of the relationship of globalization to knowledge and how to shape the future, based on societal transformations and ever-renewing scientific developments. Also, we presented a range of visions about globalization, its challenges and repercussions, especially in the Arab and Islamic world, based on the testimonies of major Western specialists in economics, politics, intellect and sociology (Joseph Stiglitiz, Roger Garaudy, Noam Chomsky, and Gerard Leclerc).

Key words: globalization - the future - knowledge - visions - the West.

1- تمهيد:

حصر بعض الباحثين مفهوم العولمة في تكثيف العلاقات الاجتماعيّة ذات الطّبيعة الكونيّة لربط مجتمعات متباعدة، وحصره بعضهم الآخر في الاندماج الاقتصاديّ العالميّ أو ربّما في تفكيك الحدود أو نمو العلاقات المتجاوزة للحدود بين الشّعوب[1]. ومع أنّ العولمة أثارت جدلا واسعا في أوساط المثقّفين، فإنّنا نأخذ في الاعتبار ثلاث عمليّات تكشف عن جوهرها: العمليّة الأولى تتعلّق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع النّاس. والعمليّة الثّانية تتعلّق بتذويب الحدود بين الدّول. والعمليّة الثّالثة تتمثّل في زيادة معدّل التّشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسّسات.

أمّا بالنّسبة إلى العلوم والمعارف فإنّها تحتلّ مكانة خاصّة في تاريخ المجتمعات الحديث والمعاصر. وهي تعتبر محصّلةَ للتّجاربِ الإنسانيّةِ المراكمةِ عبر آلاف السّنين. وما انفكّت هذه العلوم تُعزّز قدرة الإنسانِ على بناء رؤيةٍ جديدةٍ للعالَم، رؤيةٍ ما فتئت تعيد بناء الذّات لكسب المعارك والتّحدّيات والرّهانات الّتي فرضت نفسها في سياق العولمة. ولعلّنا لا نستطيع أن نتصوّر إمكانيّة تحقيق هذه الرّؤية المستقبليّة أو الظّفر بثمارها بعيدا عن الحضارة الغربيّة. فهي إحدى أكبرِ لحظاتِ المغامرةِ الإنسانيّةِ في التّاريخ. وإنّنا، وإن اعترفنا بالمنجزات العلميّة الّتي ما فتئت تنتجها هذه الحضارة على جميع الأصعدة (الثّورات المتلاحقة في مجال الصّناعة، والتّقنية، والرّقمنة، وغزو الفضاء...)، فإنّنا لا نُغفل مسألة إضفاء النّسبيّة على أحكامنا، وذلك بالإشارة إلى حدود هذه المنجزات في ظلّ التّجربة الإنسانيّة ككلّ.

حصل في التّاريخ العربيّ الإسلاميّ ما يدعو إلى التّأمّل والتّدبّر. فالعرب والمسلمون تغرّبوا في نقل المكاسب العلميّة للنّموذج الحضاري الغربيّ بدرجات متفاوتة، وقد تبلورت لديهم معالمُ الإصلاحات الدّستوريّة والسّياسيّة والعسكريّة وأساليبُ جديدةٌ في التّربية والتّعليم، بل إنّ أغلب الآليات الّتي كان يستخدمها الغربيون في غزوهم للعالم هم أيضا استخدموها، مع فارق في روح التّقنية المواكبة للصّعود الحضاريّ. وتجدر الإشارة إلى أنّ المثقّفين العرب والمسلمين استوعبوا، بفعل صدمات حضاريّة متتالية، أنّ مخاطر العزلة كانت شديدة الوقع عليهم، وأدرك جمّ هائل منهم أنّه ما من انخراط في مجال العلوم والمعرفة خارج معطيات النّموذج الحضاريّ الغربيّ، وما من سبيل للتّقدّم خارجَ فلكِ تلك العلوم. "وليس في الأمر ما يدعو إلى العجب، فالاختلافات التّاريخيّة والتّفاوتات الاقتصاديّة والاجتماعيّة تولّد فعلا ما يشكّل عناصر للتّمايز والتّباعد والاختلاف، غير أنّها لا تستبعد ضرورة إمكانيّة التّلاقح والمثاقفة"[2].

1- عنصر، العيّاشي. العولمة والتّطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، سياسات عربيّة، 2016، العدد 21، ص9.

2- كمال عبد اللّطيف. نحو مشروع حضاري نهضوي عربي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2005، ص131.

2- العولمة رؤى وتصوّرات:

ما من شكّ في أنّ العولمة تشكّل اليوم إحدى أكبر عمليّات الاندماج في التّاريخ الإنسانيّ، ولا نستطيع تصوّر إمكانيّة تجاوزها، أو بناء بديل لها دون مغامرة الإقبالِ على استيعاب مكاسبها، ودون أن يكون لهذا الإقبالِ بالضّرورة معنى الخضوع والتّبعيّة العمياء لسياساتها. وقد بات مؤكّدا أنّ العولمة ورهانات المعرفة تطرحان إشكاليات كثيرة وملابسات شديدة التّعقيد. ولطرق هذا المبحث بدا لنا أن ننفذَ إلى علماء غربيين حاولوا نزع أردية الإيديولوجيّا عن خطاب العولمة واتّخذوا المعرفة سبيلا إلى إرساء عولمة آمنة من التّنظير إلى الممارسة. وشهاداتهم ذات أهمية عالية لأنّهم رافقوا مفهوم العولمة من التّشكّل إلى "الأجرأة" أو الممارسة. فهم، إن جاز القول، يمتلكون نسختها الأصل. ولعلّ أشهرهم العالم الأمريكي **جوزيف ستيغليتز** Joseph, E. stiglits الّذي أكّد أنّ "العولمة غالبا ما يتمّ تقديمها على أنّها عمليّةٌ مجهولةٌ وشبهُ طبيعيّةٍ تفرض نفسها آليّا على البلدان وما من أحد يستطيع السّيطرة عليها، وأنّ النّظرةَ إلى العولمة في العالَمِ العربيّ متّسمةٌ بالقتامة بفعل الحرب واستمرار الصّراع العربيّ-الإسرائيليّ"[1]. فهي محكومةٌ بعاملين هما: نمط الاندماج الحاليّ مع بقيّة العالم الّذي تهيمن عليه صادراتُ النّفطِ والهجرةُ، والمخاوف بشأن تأثير العولمة في الهويّة الثّقافية والتّقاليد المحليّة....وقد أوضح هذا الخبير أيضا أنّ عددا كبيرا من النّاس في المنطقة يربطون العولمة بتدخّل القوى الأجنبيّة في شؤونهم الاقتصاديّة والسّياسيّة تدخّلا يقوّض سيادتهم ويشجّعهم على الإفراط في الإنفاق العسكريّ..."وتزداد هذه المشاعر تفاقما بسبب محنة الفلسطينيّين والمخاوف العديدة من تأثير الإعلام الغربيّ والقيم الغربيّة، ومن شواغل أخرى اجتماعيّةٍ واسعة الانتشارِ تتمثّل في الخسائر المحتمَلة في الوظائف النّاجمة عن تحرير التّجارة والاستثمار ومنافسة البلدان النّامية الّتي تقلّ فيها تكاليف العمالةِ"[2].

ولئن ارتسمت صورة العولمة الأولى في أذهان بعضهم على نحو قاتم، فإنّ صورة ثانية متفائلة ارتسمت في أذهان آخرين يرون أنّ العولمةَ ظاهرةٌ عالميّةٌ تهدف إلى التّكامل الاقتصاديّ والتّجاري والمالي، والتّكنولوجي لجعل العالم أكثر ترابطا[3]، ويميلون إلى القول بأنّ توظيف العلوم في تحديث الاقتصاد من خلال العولمة هو الوسيلة الفعّالة لكسب المزيد من القوّة، ووضع حدّ للتّبعيّة للقوى الأجنبيّة. وقد أكّد جوزيف ستيغليتز أنّ استطلاعات الرّأي تُظهر تزايد الدّعم لمصلحة التّكامل الإقليميّ بين الدّول العربيّة وأوروبا الّذي يمكّن من الاستفادة من بعض فوائد العولمة ومن مقاومة منافسة المنتجين الآسيويّين ذوي التّكلفة المنخفِضة[4]. وفي هذا السّياق يتطلّع علماء ومفكرون كثيرون إلى ردم الهوة بين الغرب والشّعوب الأخرى ضمن مناخ

1 -Une mondialisation juste créer des opportunités pour tous. Commission mondiale sur la dimension sociale de la mondialisation, Bureau international du Travail, Genève, Suisse. P.18, (Joseph, E. stiglits est un parmi les membres de la Commission).

2-Ibid, p.19.

3 -www.businessdictionary.com, Retrieved 2019-4-30. Edite, 2022-02-03: https://mawdoo3.com

4-Une mondialisation juste créer des opportunités pour tous. P.18, (Joseph, E. stiglits est un parmi les membres de la Commission).

معرفيّ تبرز فيه الشّراكة المعرفيّة بوصفها مفتاحا للتّآلف الإنسانيّ. ولتبادل المعرفة بين الذّات والآخر، بوصفه مظهرا من مظاهر التّثاقف الّذي يتمّ عبر حوار الحضارات. ولا شكّ أنّ المجتمعات المتآلفة مستقبلا، قد تتشكّل في مرحلة تتّسم بإبداع المعرفة من خلال مشاركة جماهيريّة فعّالة. ولئن بدت الصّورة المرسومة ضربا من الأحلام، فإنّ مجتمع المعرفةِ العالميّ هو، في المقابل، ضرب من الواقع، وسيجسّد المرحلة الأخيرة من مراحل تطور مجتمع المعلومات. فالعالَم يتغير تحت أبصارنا بعمق والنظام العالمي يتحول تحولات غير مسبوقة. ومن المؤكّد أن عملية إنتاج المعرفة ستصبح هي العملية الأساسية في العقود القادمة. ومن هنا تكمن أهمية التتبع الدقيق لعملية الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة[1].

3- نحو "العقل العالمي":

حدث تطوّر رهيب في مجال العلوم خلال العقود القليلة الأخيرة مسّ المجتمعات الإنسانيّة. وقد تأثّرت المجتمعات العربيّة الإسلاميّة، كغيرها من المجتمعات، بهذا المدّ التّكنولوجيّ. فأصبحت اليوم تعيش ربطا بين الفنّ والتّكنولوجيا وصل إلى درجة عالية من الدّقّة والتّعقيد. وتتّجه حثيثا نحو الثّقافة الرّقميّة. إذ أصبح بإمكان الفنّان أن يجمّع، دون مجهود كبير، صورًا وألوانًا ووسائط في ذاكرة الكومبيوتر المجرّدةِ من الجاذبيّة والاحتكاك والّتي تعطيه حرّيّة خارقة لإبداع الصّور[2]. وقد حرّرت هذه التّكنولوجيا فنّان التّشكيل من قيود إطار اللّوحة وثنائيّة أبعادها، فأصبح بإمكانه رسم أشكاله في فضاء محدود ثلاثيّ الأبعاد. وحرّرت أيضا النّحّات من صلابة مادّته من خلال آليّات التّحريك وتكنولوجيا توليد الأشكال المجسّمة إلكترونيّا، وحرّرت الفنّان الموسيقيّ من سطوة الآلات، فأصبح بإمكان المؤلّف الموسيقيّ أن يصمّم ألحانا تسجّل مباشرة على الشّرائط دون الحاجة إلى عازفين، بل أصبح بإمكانه أيضا تصميم آلات عزف جديدة، وتأليف ألحان متمايزة.

إضافة إلى ذلك حظي المبدع السّينمائيّ بنصيب وافر من دعم تكنولوجيا المعلومات، إذ أصبحت كل الخدع السّينمائيّة والمناظر الخلفيّة والنّماذج الخياليّة، كمركَبَات الفضاء وخلافها، قابلة للتّنفيذ، وطوع بنان المخرج، وما عليه إلاّ أن يقوم بوصفها ووضع مواصفاتها. أمّا المبدع الدّراميّ، الّذي طالما ضاق ذرعا بمحدوديّة خشبة مسرحه، فقد وفّرت له تكنولوجيا المعلومات وسائلَ عدّةً للتّحرّر من أسر هذا الحيّز، وذلك من خلال نقل المناظر الخلفيّة عن بعد، والمشاركة في التّمثيل عن بعد في إطار عولمة الصّورة والصّوت[3].

1- السيّد يسين، العولمة ومجتمع المعرفة، صحيفة الاتّحاد، أبو ظبي الإمارات، على الرّابط التّالي: https://www.alittihad.ae/wejhatarticle دخلنا الرّابط في 28-01-2022 على السّاعة التّاسعة صباحا.

2- المنجي، الزّيدي. الثّقافة العربيّة وتحدّيات العولمة، المجلّة العربيّة للثّقافة، 2009، العدد 54، ص79.

3- نبيل، علي. الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثّقافيّ العربيّ، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد 276، ص485.

وتقود القدرة الجديدة لبني البشر على التّلاعب في الذّرّات والجزيئات نحو ثورة جامحة في التّصنيع تُعرف باسم الطّباعة الثّلاثيّة الأبعاد[1]. ومع أنّ هذه التّكنولوجيا لا تزال في المراحل الأولى من تطوّرها، فإنّه يمكن ذكر بعض الفوائد الّتي ستقدّمها لعمليّات التّصنيع. إذ يؤكّد المتحمّسون لهذه التّقنية أنّ الطّباعة ثلاثيّةَ الأبعاد تتطلّب في الغالب 10% فقط من المواد الخام الّتي تستخدم في عمليّة الإنتاج بالجملة فضلا عن النّزر القليل من الطّاقة[2]. وقد أدّى انتشار الأنترنت المتزامن مع وجود قوّة الحوسبة في كلّ مكان إلى تمدّد الجهاز العصبي البشريّ الّذي ينقل المعلومات، والأفكار والمشاعر، من مليارات البشر وإليهم بسرعة الضّوء في جميع أنحاء كوكب الأرض. ونحن نتّصل بشبكة بيانات عالميّة ضخمة عبر البريد الإلكترونيّ والرّسائل النّصيّة، وشبكات التّواصل الاجتماعيّة، والألعاب متعدّدة اللاعبين، بسرعة لم يسبق لها مثيل. وقد ارتبط هذا الجهاز العصبيّ عند آل غور بـ"العقل العالميّ".

وهكذا، يمكن القول إنّ اختراع هذه الأدوات الجديدة والقويّة، قد أدّى إلى خلق رؤى جديدة تنظر في شأن مستقبل العالم بمسحة من التّفاؤل. ومع أنّه يصعب التوفيق بين تفضيلنا الطبيعي للتفاؤل بالمستقبل، وبين المخاوف الّتي عبّر عنها كثيرون بأنّ الأمور ليست على ما يرام. فإنّ مثل هذه المخاوف ستتبدّد في المستقبل إذا عملنا بالمثل الإفريقيّ: "عندما تصلّون حرّكوا أقدامكم" فالصّلاة دون عمل، مثل التّفاؤل من دون تعهّد بالعمل. وهي عدوان سلبيّ تجاه المستقبل"[3]. ومثلما يمكن للتّفاؤل السّاذج أن يصل إلى درجة خداع الذّات، كذلك يمكن للتّمادي في التّشاؤم أن يعمينا عن أسس الأمل المشروع بإمكانيّة إيجاد مسار يقودنا إلى تجنّب المخاطر الّتي تتربّص بنا، وإلى العمل على تجاوزها. و"إننا إذا حكمّنا العقل معا سوف نختار بقوة الحفاظ على القيم الإنسانية وحمايتها ضد النتائج الآلية والهدامة لغرائزنا التي تتعاظم اليوم بفعل التقنيات التي تفوق في قوتها كل ما سبقها من أجيال ما كان يمكن أن يتخيله جون فيري"[4].

يشهد الاقتصاد العالمي تحولا بفعل تغييرات تفوق في سرعتها وحجمها أي تغيرات سابقة حصلت في تاريخ البشريّة. فقد ارتفعت التّجارة الدّوليّة أكثر من عشرة أضعاف على مدار السّنوات الثّلاثين الأخيرة، وقفزت من 3 تريلون دولار أمريكيّ إلى 30 تريليون دولار أمريكيّ سنويّا[5]. ولكن إذا أثبتت النّظريّة الاقتصاديّة أنّ التّجارة الدّوليّة تنفع جميع الأطراف وتفيدها، فلماذا تتفاوت درجات النّفع عمليّا، ولماذا لا يعوّض الرّابحون على نحو خاصّ من التّجارة الدّوليّة الخاسرين؟[6].

1- آل غور. المستقبل ستّ محرّكات للتّغيير العالمي (الجزء الأوّل)، ترجمة عدنان جرجس، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد 423، أفريل 2015، ص63.

2- المرجع نفسه، ص64-65.

3- المرجع نفسه، ص21.

4- المرجع نفسه، ص30.

5- المرجع نفسه، ص48.

6- جورج، سورس. جورج سوروس والعولمة (تعريب هشام الدّجاني)، ط1، الرّياض: مكتبة العبيكان، 2003، ص55.

4- العولمة من زاوية غربية:

اعتبر جوزيف ستيغليتز سياسة الولايات المتّحدة في الطّاقة المحاطة بالسّريّة في إدارة بوش قدوة سيّئة، وضربا من الغشّ والخداع. وأكّد أنّ زعم الحكومة أنّها لا تستطيع كشف النّقاب عن المعلومات المتّصلة بحقيقة الموارد الطّبيعيّة حفاظا على سرّيّة الأعمال التّجاريّة، لا يعدو أن يكون عذرا قبيحا، وستارا كاشفا يواصل من خلفه المسؤولون في الحكومة والشّركات ممارساتهم الفاسدة[1]. وأوضح أنّ البترول هبةٌ طبيعيّةٌ للدّول العربيّة وأصل من أصولها، ويمثّل عصب الاقتصادِ فيها، ويساهم في تحقيق إيرادات ومكاسب ماليّة هامّة للمنطقة ككلّ، ولكنّه يظلّ في حاجة ماسّة إلى استثمار أمواله، حتّى تكون الدّولُ الّتي تمتلكه في مأمن من الفقر. "فالنّاتج المحلّي المرتفع لبعض الدّول المنتجة للنّفط لا يؤدّي بالضّرورة إلى استمراريّة الرّفاهيّة، بل قد يؤدّي إلى الحاجة والخصاصة إذا كان الثّراء ظاهريّا وغير مستدام"[2]. وقد حذّر هذا العالم من تداعيات الاستهلاك المفرط للطّاقة خارج أطر السّلامة البيئيّة. واعتبر أنّ لبّ إخفاق المجتمع الدّوليّ في معالجة الاحتباس الحراريّ يكمن في كيفيّة توزيع المسؤوليّات. واقترح حلاّ بديلا يستخدم آليّة السّوق على نحو مباشر للتّعامل مع تخفيض الانبعاثات، يتمثّل في فرض ضريبة موحَّدةٍ على انبعاثات الكربون أو ما يساويها ضريبة على البترول والفحم والغاز بمعدّلات تعكس الانبعاثات الّتي تتولّد عن حرقها[3]. وبدا له أنّ عدم السّعي إلى إيجاد حلول جدّيّة لمشكلاتنا البيئيّة العالميّة سيتسبّب في تقليل الثّمار والفائدة المرجوّة من العولمة الاقتصاديّة. "فغلافنا الجوّيّ ومحيطاتنا موارد طبيعيّة عالميّة. ولكنّ العولمة عزّزت قدرتنا على استغلال هذه الموارد استغلالا جائرا وبسرعة تفوق نموّ قدرتنا على إدارتها"[4].

هكذا تزايد عدد الفلاحين المحرومين من الأرض بالأرياف. واكتظّت المدن بالنّاس والسّيّارات والمصانع. وارتفعت الدّيون بالدّول النّامية نتيجة انخفاض مؤشّرات النّمو وأصبحت الحكومات عاجزة عن المواظبة على سداد أقساطها من القروض الممنوحة لها من المؤسّسات الماليّة العالميّة ممّا جعلها تقدم على التّكثيف من استغلال تربتها الزّراعيّة الهشّة، وقد تحوّلت الأراضي الزراعيّة الجيّدة بفعل هذا الاستغلال المفرط إلى أراض فقيرة التّربة ومهدّدة بالتّصحّر. وتسبّبت الحواجز التّجاريّة، الّتي تفرضها الدّول الغنيّة على بيع السلع، في عدم تحقيق عائدات معقولة للأفارقة، وفي تسجيل عبء إضافيّ على المنظومات البيئيّة[5]. والظّاهر أنّه كلّما اتّسعت هوّة الموارد بين البلدان النّامية والبلدان المتقدّمة برزت الهواجس البيئيّة المهدّدة للحياة. وكلّما أفرط العالَم الصّناعي في استهلاك جزء كبير من رأس مال كوكب الأرض البيئيّ، ارتفعت المخاطر والكوارث الطّبيعيّة في إطار عولمة اقتصاديّة مضلّلة ومنفلتة من كلّ الضّوابط.

1- Joseph E. Stiglitiz. Making Globalization Work, W.W. Norton & Company, New York :2006, p.88.

2- Ibid, p.89.

3- Ibid, p.93.

4- Ibid, Pp.93-94.

5- يان ندرفين بيرتسه. العولمة والتّهجين، العولمة الطّوفان أم الإنقاذ ؟ الجوانب الثّقافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة (ترجمة فاضل جتكر)، ط2، بيروت: المنظّمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2010، ص648-649.

أمّا بالنّسبة إلى نعوم **تشومسكي** Noam Chomsky فإنّه اعتبر أنّ النّسّاك المتعصّبين هم وحدهم الّذين يعارضون العولمة بوجهها الإيجابيّ الّذي يعني التّكامل الاقتصاديّ وغيره... وحذّر، في المقابل، من أنّ "عولمة لا تضع حقوق النّاس في أولويّاتها سوف تتحوّل إلى شكل من الحكم الاستبداديّ، أو ربّما حكم القلّة أو حكم الاحتكارات المؤسّس على تحالف محكم بين سلطة الدّولة والقطاع الخاصّ غير الخاضع للمساءلة أمام الشّعب"[1]. وقد استغرب من حديث النّاس عن حرّيّة حركة البضائع والرّأسمال والنّاس في إطار التّجارة الحرّة، بل اعتبره ضربا من الوقاحة. ويتّفق مع آدام سميث في أنّ حركة النّاس الحرّة هي المكوّن الجوهريّ للتّجارة الحرّة، باعتبار أنّ النّاس يتساوون في الحقوق في المجتمع العادل من حيث المبدإ على الأقلّ، ولكنّه يختلف معه في الحديث عن الرّأسمال الّذي يخفي حقيقة أنّنا نتكلّم عن أصحاب رؤوس أموال غير متساوين بالقوّة بشكل طبيعيّ. واعتبر أنّ الكلام عن تساوي رأس المال والطّبقة العاملة على قاعدة المساواة بينهما هو تضليل عقيم[2].

أمّا **روجيه جارودي**Roger Garaudy فأوضح من جهته أنّه بإمكاننا بناء القرن الحادي والعشرين بوجه إنسانيّ ربّاني إذا نظّمنا المشاكل التّقنيّة أو الاقتصاديّة أو السّياسيّة لغايات إنسانيّة تبحث عن وحدة متناسقة لهذا العالم باختلاف ثقافاته، وتهدف إلى الاختلاف عن العولمة المزعومة الّتي تسعى إلى تحقيق وحدة إمبرياليّة للعالم. ولئن اعتبرت الولايات المتّحدة الأمريكيّة وأوروبّا مؤشّر "النموّ" مؤشّرا للرّفاه الإنسانيّ، فإنّ السّياسات الّتي حادت عن هذا المبدإ تتسبّب عنده في قتل ثلاثين مليون ضحيّة في العام، بينهم ثلاثة عشر مليون طفل بسبب المجاعة والحروب الّتي يؤجّجها الكبار (وفقا لأرقام منظّمة اليونسيف). وإذا تمادى الإنسان في السّير مغمض العينين عن انحرافاته، فإنّ نهايته لن تتجاوز المائة عام، لا بسبب المذابح فقط، ولكن بسبب تدمير الطّبيعة كذلك[3]. وقد حمّل المفكّر الفرنسيّ الحداثة والإنتاج التّكنولوجيّ والتّقدّم مسؤوليّة تدمير كلّ شيء فوق الأرض وتحتها، وفي السّماء، وفي المحيطات. ونعت "العولمة المزعومة" بالبربريّة الجديدة حين "سعت إلى تحطيم العلاقات مع الأحياء، وحين عمدت إلى إزالة كلِّ ما نشرته الحياة والإنسانيّة عبر ملايين السّنين"[4].

ومثله يعتقد بعضهم أنّ نموّ الحضارة نحو التّقدّم في الإنجازات المادّيّة، وزيادة فرص سيطرة الإنسان على الطّبيعة كان ينقض دائما وعود هذه الحضارة بزيادة فرص سعادة الإنسان، حتّى وصل الأمر بالحضارة التّكنولوجيّة المعاصرة إلى محاولة القضاء على تلك الوعود بتزييفها نهائيّا وإغراقها بالملذّات الاستهلاكيّة، وانتزاع الإيمان بإمكانيّة تحقّق سعادة فرديّة حرّة[5]. ويعتقد بعضهم الآخر أنّ الحضارة المعاصرة تنتج في ظلّها

1- نعوم، تشومسكي. أشياء لن تسمح بها أبدا... لقاءات ومقالات (ترجمة أسعد محمّد الحسين)، دمشق – سوريا: دار نينوى، 2010، ص15.

2- المرجع نفسه، ص16-17.

3- روجيه، جارودي. الإرهاب الغربيّ، تعريب ناهد عبد الحميد وسامية مندور، ط1، القاهرة: مكتبة الشّروق الدّوليّة، 2003، ص40.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- فيصل، عبّاس. العولمة والعنف المعاصر جدليّة الحقّ والقوّة، ط1، لبنان: دار المنهل اللّبناني، 2008، ص67.

وسائل الحياة، كما تنتج أدوات الدّمار، إذ تجعل من السّلوك العدوانيّ نموذجا يسير على هديه الأفراد والمؤسّسات بطريقة مخطّطة، فيصبح "المجتمع... الرّوح والجسد، في حالة استنفار وتعبئة دائمة للذّود عن ذلك العالم"[1]، ويعتقدون كذلك أنّ الأنماط الجديدة للعدوان تدمّر دون أن تجعل أيدي الإنسان قذرة أو تجعل عقله يجرّم[2].

وقد ذهب **جيرار ليكلرك** إلى أنّ العالم الحديث في أوروبّا ابتدع بداية من القرن السّادس عشر آليّة اقتصاديّة أكثر اكتمالا تجلّت في **الاقتصاد – العالم**، أي الرّأسماليّة، أي السّوق المعمّم، الّذي يعمل تبعا لمقاييس لم تكن معروفة فيما سبق. ولم ينف ظهور "اقتصاديّات-عوالم" بشكل أو بآخر في مراحل تاريخيّة سابقة إلاّ أنّ أيّا منها لم يعمل بطريقة مستمرّة واعدة "فقبل العصر الحديث، كانت "الاقتصاديّات العوالم" عبارة عن "بنى غير ثابتة تنزع لتتحوّل إلى إمبراطوريّات أو إلى التّفكّك. إلاّ أنّه من خصائص النّظام العالميّ الحديث، هو أن يتمكّن الاقتصاد-العالم حاليّا من العيش لمدّة تجاوزت القرون الخمسة دون أن يتحوّل إلى إمبراطوريّة-عالم...إنّه المظهر السّياسيّ لنمط التّنظيم الّذي يمكن تسميته بالرّأسماليّة"[3].

ومن أهمّ رهانات العولمة عند **جيرار ليكلرك** التشجيع على نشر استهلاك الخيرات الثّقافيّة ذات الأصل الغربيّ. فمثلما تدور الخيرات الاقتصاديّة ذات المركّب التّقنيّ في أرجاء العالم باعتبارها نتيجة سيرورة تقنيّة وعلميّة أساسها الغرب أوّلا، كذلك نجد أنّ الخيرات الثّقافيّة الّتي عرفت أعلى معدّلات انتشارها في أرجاء الكرة الأرضيّة قد نبعت من الصّناعة الثّقافيّة الغربيّة[4] الّتي نعتها روجيه جارودي بالاستعمار الثّقافيّ القائم على تزوير التّاريخ، إذ جعل منه تاريخا للغرب بصفة أساسيّة مع ملاحق تشمل سائر الشّعوب[5]..."لقد اقتضى التّاريخ المكتوب دائما بقلم الغالب، أن يكون الانتصار لحضارة الأقوى وقانونه وأن يكتب من أجل التّغطية على خديعة المركزيّة العرقيّة للغرب"[6].

5- راهن العولمة: هواجس ومخاوف:

أضحت اليوم أجزاء البشريّة، الّتي تشتّت منذ عشرات الآلاف من السّنين، مرتبطة على نحو غير واع. لكنّها لا تشكّل البتّة، كلاّ موحّدا يمكن أن نسمّيه البشريّة، بل على النّقيض من ذلك، فبعد أن تمّ دمج المصير الكونيّ بالمصير التّاريخيّ للغرب، بدأ النّظر في دمج المصير التّاريخيّ للغرب بالمصير الكونيّ. وقد بدت

1- هاربرت، ماركوز. الإنسان ذو البعد الواحد (ترجمة جورج طرابيشي)، ط1، بيروت: الآداب، 1969، ص45.

2- هاربرت، ماركوز. فلسفة النّفي (ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد)، ط1، بيروت: الآداب، 1971، ص273.

3- ليكلرك، جيرار. نقلًا عن، Wallerstein (I), Capitalisme et économie-monde, 1980, p.313، العولمة الثّقافيّة الحضارات على المحكّ (تعريب جورج كتّورة)، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2004، ص79.

4- جيرار، ليكلرك. العولمة الثّقافيّة الحضارات على المحكّ، ص488.

5-Roger. Garaudy. L’avenir: mode d’emloi, ed Vent du Large, Paris: 1998, p.78.

6- إدغار، موران. النّهج البشريّ إنسانيّة البشريّة هويّة البشريّة (ترجمة هناء صبحي)، ط1، أبو ظبي – الإمارات: هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث (كلمة)، 2009، ص202-203.

العمليّة حسب اعتقاد **إدغار موران** عمليّة بطيئة ومتفاوتة ومتعثّرة[1]. ويشهد الرّاهن العالميّ فرض النّمط الواحد بدل الأنماط المتعدّدة، إذ يعاين عمليات انتشار كبرى للجغرافيا والعقل والتّقاليد. أمّا بالنّسبة إلى العالم الإسلامي المعاصر فإنّه يشكو توتّرا حادّا وخوفا مستمرّا من فقدان خصوصيّاته وذوبانها في إطار العولمة الثّقافيّة. فكل الأسوار أضحت غير منيعة. وقد أكّد علي الصّالح مولى أنّ "كلّ الجدران ما عادت تعلو على أحد، إذ انفتحت الثّقافات بعضها على بعض، وخرجت الخصوصيّات من محلّيّتها لتتدفّق الفنون والآداب والتّعبيرات الثّقافيّة في بعدها الكونيّ ومعها القيم والأذواق هاتكة ثقافات شعوب الأطراف" [2]. ويبدو أنّ المخاتلة تجلّت أكثر في مجال الثّقافة. ولعلّ التأمّل الموضوعيّ في العلاقات بين الثّقافات يعمّق المخاوف ويدفع بها إلى التّشكيك في الأبعاد الإنسانيّة الّتي تغري بها العولمة[3].

من النّافل القول أنّ الغرب قد ساهم في توحيد الأرض، من خلال التّقنيات الّتي أوجدها، ومن خلال العلم الّذي طوّره بوتيرة متنامية وسريعة، ومن خلال الإيديولوجيّات الّتي افترض فيها القدرة على تفسير العالم الجديد وفهمه. غير أنّ مساهمة العولمة في هذا التّوحيد والاندماج ما زالت مرتبطة أساسا حتّى اليوم بحركة انتقال البضائع وتعني عند علماء كثيرين، ومن بينهم جيرار ليكلرك، الانتقال من "اقتصاديّات - العالم" إلى السّوق العالميّ الّذي يضمن التّدفّق الحرّ للخيرات ورؤوس الأموال.

6- في سبيل عولمة آمنة وخادمة للإنسانيّة:

تكشف القراءة النقديّة لنماذج من مدوّنة الكتب العربيّة التي تمحورت حول العولمة على "تنامي خطاب الرّفض وعدم القبول بظاهرة العولمة، وغياب المعالجة الصّريحة والمقصودة لمسألة التّرتيب الوظيفيّ للعوامل البانية لكيان الظّاهرة، إضافة إلى اعتماد غير محبّذ على الفكر الغربيّ من خلال بعض النّصوص والمواضيع ونقص في التّجريديّة والعمق والدّقّة والحَبكِ المعرفيّ وعدم تعويل الفكر العربيّ على ذاته في بناء موقف عقلانيّ من ظاهرة العولمة"[4]، وأوقفنا البحث على أنّ أغلب البحوث والدّراسات العربيّة والإسلاميّة قد اتّسمت برفض الانصهار في العولمة باعتبارها تجسيدا حقيقيّا لمرحلة من مراحل الرّأسماليّة. واستأثر الخطاب فيها بـ"الممانعة الثقافيّة". مع أنّه كان بالإمكان تدعيم هذا الطّرح بكتابات غربيّة يتوفّر فيها الحدّ الأدنى من الموضوعيّة، وتتّجه نحو رفض العولمة ونقضها باعتبارها تيّارا يجرف القوى الضّعيفة دون سواها. وكان بالإمكان أيضا اعتماد كتابات أخرى تميل إلى تعديل بوصلة العولمة وتسعى إلى تأمين انخراط الدّول النّامية في نسيجها[5].

1- المرجع نفسه، ص273.

2- علي الصّالح، مولى. الهويّة... سؤال الوجود والعدم دراسة تحليليّة لعلاقة الأنا بالآخر، ط1، صفاقس: كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مطبعة التّسفير الفنّيّ، 2006، ص258.

3- المرجع نفسه، ص260-261.

4- فاطمة العمّوص الغمقي. مرجع سابق، ص158.

5- نجيب جراد. العولمة وتداعياتها في العالم الإسلامي المعاصر مقاربات غربيّة، أصله أطروحة الدّكتوراه، نوقشت في 22 فيفري 2020 بكلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، إشراف الأستاذ فتحي القاسمي، ص6.

ولا مراء في أنّ العولمة تقودنا بالضّرورة إلى إبراز أفكار الآخر وقيمه الّتي من شأنها توفير مناخ صداقة وسلام، فالتّثاقف يساهم في تلاقح الحضارات ويستبعد جميع مظاهر العداء في المواقف، ويشكّل، في النّهاية، فرصة حقيقيّة لتصحيح التّصوّرات والمفاهيم الخاطئة الّتي تسود المجتمعات وتعوق مسيرة التّعاون والتّقارب والتّفاهم والحوار. ولأجل هذا الهدف نعتقد أنّه على كلّ ثقافة أن تنقد ذاتها وتؤمن بأنّ لديها الكثير الّذي لم يتحقّق حتّى الآن، وأنّها "بحاجة إلى المزيد من التّبادل والتّعامل، والمزيد من التّعاون بين المؤسّسات التّعليميّة لنقل الفنّانين والمثقّفين والعلماء والقيادات المحلّيّة والطّلبة عبر الحدود في جميع الاتّجاهات، حتّى يتسنّى لهم إقامة حوارات وتفاعل مباشر واحترام متبادل وفهم أفضل للحقائق"[1]. بدلا من الانزواء داخل ذاتيّات متضخّمة تحجب التّعرّف على خريطة العالم البشريّة، وتعوق فهم الذّات على حقيقتها[2]. وقد سجّلنا في كتابنا الموسوم بـ "العولمة وتداعياتها في العالم الإسلامي المعاصر مقاربات غربيّة" أنّ العولمة بدت فرصة حقيقيّة أدركها الغرب لنشر قيمه الاقتصاديّة والسّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة وأنّ العالم العربيّ والإسلاميّ تأخّر في اقتناصها فظلّ في منزلة بين منزلتين: إمّا في وضع المتقبّل المستسلم لشطحات "صنّاع العولمة" وإمّا في وضع المقاوم لعقيدة رأسماليّة مجتمع المركز. وما من شكّ في أنّ الحركة المتسارعة لعالَمنا المعاصر، قد خلّفت هوّة كبيرة بين الشّمال والجنوب، تاه فيها العالَم الثّالث بين مقتضيات التّنمية المستدامة للحدّ من آفّة الفقر، وبين مواجهة قواعد العولمة الّتي يرتكز عليها النّظام الدّوليّ الحاليّ[3]. وهكذا فإنّه، وفي سياق إشكاليّة التّحرّر من العولمة المتوحّشة، لن يتأتّى لأيّ إستراتيجية تنمويّة فاعلة بدول الجنوب عامّة وبالدّول الإسلاميّة خاصّة أن تكون فاعلة، دون الإسهام في بناء صرح المعرفة وتشييد المجال العلميّ وطرق باب المبادرات في إطار عولمة خادمة للإنسانيّة.

7- خاتمة:

طرحت العولمة في اتّصالها بالفكر الإنساني إشكاليات كثيرة وملابسات شديدة التّعقيد تعمّقت أكثر بفعل ضبابيّة المفهوم وتباين المواقف منها. ويتبيّن من خلال هذه المداخلة أنّ جلّ مواقف المفكّرين العرب من العولمة اتّسمت بالرّفض والممانعة. و ليس من المبالغة في شيء القول إنّ هذه المواقف قد تكون تأثّرت على نحو من الأنحاء برؤى غربيّة تفيد بأنّ العولمة "مؤامرة ضدّ الإنسانيّة" و"آلة مليونيّة جهنّميّة" و"بربريّة جديدة" عمدت إلى إزالة كلّ ما نشرته الحياة الإنسانيّة عبر ملايين السّنين، وحمّلوا الإنتاج التّكنولوجيّ والحداثة والتّقدّم مسؤوليّة تدمير كلّ شيء فوق الأرض وتحتها، وفي السّماء، وفي المحيطات. وما ينبغي تأكيده عند هؤلاء المفكّرين أنّ المعرفة ورهاناتها باتت مساعدة في دمج المصير التّاريخيّ للغرب بالمصير الكونيّ بعد دمج المصير الكونيّ بالمصير التّاريخيّ للغرب. وقد أدّت هذه الرّؤى المتشابكة إلى القبول بفكرة أساسيّة وهي

1 -عبد الله تركماني. سبل نجاح حوار الثّقافات في عالم متغيّر، ضمن التراث العربي والحوار الثقافي، أعمال الندوة المنعقدة في إطار وحدة البحث "حوار الثّقافات" من 23 إلى 25 أفريل 2007، بكليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس: مطبعة فنّ الطّباعة، 2007، ص51.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- محمّد، العوديّ. فقراء زمن العولمة، ط1، الرّباط: منشورات دار التّوحيدي، مطبعة برنت كولور، 2008، ص54.

أنّ التّحوّلات المعرفيّة والعلوم عبارة عن خيرات إنسانيّة يوزّعها الغرب عبر العولمة من أجل التّغطية على "خديعة المركزيّة العرقيّة ".

وأوضحنا في متن هذه المداخلة أنّ العولمة جسّدت مناسبة لتحرير العلوم من الأطر المعرفيّة الكلاسيكيّة وفرصة لتبديد المخاوف بشأن تأثيرها في الهويّة الثّقافية والتّقاليد المحليّة. غير أنّه، مثلما كشف مفكّرون غربيون عن هنات العولمة في اتّصالها بحياة المستضعفين من العالم النّامي، فإنّ آخرين سعوا إلى تقليص الفجوة بين الغرب والشّعوب الأخرى ضمن مناخ معرفيّ برزت فيه الشّراكة المعرفيّة بوصفها مفتاح التّآلف الإنساني. فالعالَم يتغيّر تحت أبصارنا بعمق. والنّظام العالميّ يتحوّل تحوّلات غير مسبوقة. ومن المؤكّد أن عملية إنتاج المعرفة ستصبح هي العمليّة الأساسيّة في العقود القادمة، وأنّ انتشار الأنترنت المتزامن مع وجود قوّة الحوسبة في كلّ مكان سيؤدّي إلى تمدّد الجهاز العصبي البشريّ الّذي ينقل المعلومات، والأفكار والمشاعر، من مليارات البشر وإليها بسرعة الضّوء في جميع أنحاء كوكب الأرض. ولئن بدا التحاق العرب بالمدّ التّكنولوجي عمليّة بطيئة ومتفاوتة، ومتعثّرة، فإنّ ذلك لا يبرّر مطلقا فكرة مناهضة العولمة ومعاداتها لأنّ الانزواء داخل ذاتيّات متضخّمة يحجب التّعرّف على حقيقة العالم، ويعوق فهم الذّات وخصوصيتها..

8- قائمة المراجع والمصادر:

1- بيرتسه يان ندرفين. العولمة والتّهجين، العولمة الطّوفان أم الإنقاذ؟ الجوانب الثّقافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة (ترجمة فاضل جتكر)، ط2، بيروت: المنظّمة العربيّة للتّرجمة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 2010.

2- تركماني عبد الله. سبل نجاح حوار الثّقافات في عالم متغيّر، ضمن التراث العربي والحوار الثقافي، أعمال الندوة المنعقدة في إطار وحدة البحث "حوار الثّقافات" من 23 إلى 25 أفريل 2007، بكليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس: مطبعة فنّ الطّباعة، 2007.

3- تشومسكي نعوم. أشياء لن تسمح بها أبدا... لقاءات ومقالات (ترجمة أسعد محمّد الحسين)، دمشق – سوريا: دار نينوى، 2010.

4- جارودي روجيه. الإرهاب الغربيّ، تعريب ناهد عبد الحميد وسامية مندور، ط1، القاهرة: مكتبة الشّروق الدّوليّة، 2003.

5- جراد،نجيب. العولمة وتداعياتها في العالم الإسلامي المعاصر مقاربات غربيّة، أصله أطروحة الدّكتوراه، نوقشت في 22 فيفري 2020 بكلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، إشراف الأستاذ فتحي القاسمي.

6- الزّيدي، المنجي. الثّقافة العربيّة وتحدّيات العولمة، المجلّة العربيّة للثّقافة، 2009، العدد 54.

7- عبّاس فيصل. العولمة والعنف المعاصر جدليّة الحقّ والقوّة، ط1، لبنان: دار المنهل اللّبناني، 2008.

8- العوديّ محمد. فقراء زمن العولمة، ط1، الرّباط: منشورات دار التّوحيدي، مطبعة برنت كولور، 2008.

9- علي نبيل. الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثّقافيّ العربيّ، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد 276.

10- العيّاشي عنصر. العولمة والتّطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، سياسات عربيّة، 2016، العدد 21

11- غور آل. المستقبل ستّ محرّكات للتّغيير العالمي (الجزء الأوّل)، ترجمة عدنان جرجس، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة عدد 423.

12- الغمقي فاطمة العمّوص. مواقف المثقّفين العرب من العولمة من خلال نماذج، أطروحة دكتوراه في اللّغة والأدب والحضارة العربيّة، إشراف فتحي القاسمي، نوقشت بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس، السّنة الجامعيّة 2014-2015.

13- -كليرك جيرار. العولمة الثّقافيّة الحضارات على المحكّ (تعريب جورج كتّورة)، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2004.- ماركوز هاربرت. الإنسان ذو البعد الواحد (ترجمة جورج طرابيشي)، ط1، بيروت: الآداب، 1969.

14- فلسفة النّفي (ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد)، ط1، بيروت: الأداب، 1971.

15- موران، إدغار. النّهج البشريّ إنسانيّة البشريّة هويّة البشريّة (ترجمة هناء صبحي)، ط1، أبو ظبي – الإمارات: هيئة أبو ظبي للثّقافة والتّراث (كلمة)، 2009.

16-مولى، علي الصّالح. الهويّة... سؤال الوجود والعدم دراسة تحليليّة لعلاقة الأنا بالآخر، ط1، صفاقس: كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مطبعة التّسفير الفنّيّ، 2006.

17-Joseph E. Stiglitiz. Making Globalization Work, W.W. Norton & Company, New York: 2006.

18-Roger. Garaudy. L'avenir : mode d'emploi, éd. Vent du Large, Paris: 1998.

19-Une mondialisation juste créer des opportunités pour tous. Commission mondiale sur la dimension sociale de la mondialisation, Bureau international du Travail, Genève, Suisse, (Joseph, E. stiglits est un parmi les membres de la Commission). https://www.ilo.org/public/french/wcsdg/docs/report.pdf.

20-السيّد يسين. العولمة ومجتمع المعرفة، صحيفة الاتّحاد، أبو ظبي الإمارات، على الرّابط التّالي: https://www.alittihad.ae/wejhatarticle دخلنا الرّابط في 28-01-2022